

سلسلة تراث الإمام الصنعاني

الديباج والبراية

في تحقيق

إبراهيم بن قصى القرشي

للعلامة محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني

١٩٠٩ - ١١٨١ هـ

١٦٨٨ - ١٧٦٨ م

تحقيق

الدكتور عبد الوهاب لطف الزياصي

مكتبة الإرشاد

صنعاء

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

مكتبة الإرشاد



الجمهورية اليمنية - صنعاء - ميدان التحرير

شارع ٢٦ سبتمبر ص.ب ١٠٠٧٤ تليفون ٧١٧٧٥

محمد بن عبد العزيز الغزالي

الإيضاح والبيان

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣).

أما بعد: فإنَّ من خير ما يقضي الإنسان فيه عمره، خدمة كتاب الله الكريم، الذي لا تنقضي عجائبه، والذي تنقطع الأجال وتنتهي الأعمار دون الغوص إلى أعماق بحاره، والإحاطة بجواهره وكنزه. ولقد أودع الله سبحانه من العلوم والمعارف، ما يجدر بالمسلم أن يطيل البحث والتفكير،

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٧٠ - ٧١.

لينال حظاً من أسرارها، ويقتبس من ذلك مناراً يهتدي به في حياته، ويعرف الناس بعظمة هذا القرآن، الذي قال الله عز وجل في شأنه:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١).

وما تزال اهتمامات المسلمين بهذا القرآن منذ أن نزل حتى اليوم تتجه إلى خدمة هذا الكتاب الحكيم، وترتشف من معينه الثر، فتشفي به عليلها، وتبلّ به صداها، وتهتدي به في دياجير الظلمات.

ورسالتنا هذه واحدة من المؤلفات التي اتجهت إلى خدمة هذا الكتاب العظيم، فتناولت جانباً مهماً لتعالجه، وتكشف اللثام عن حقيقته. ولقد كان مؤلفها شغوفاً بخدمة كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. يتجلّى ذلك من خلال الاطلاع على مؤلفاته الوافرة، والهادفة إلى هذه الغاية النبيلة، فجزاه الله تعالى خيراً ورفع درجاته في عليين، وألحقنا به صالحين آمين.

(١) سورة الإسراء: الآية ٩.

ترجمة المؤلف

هذه ترجمة مختصرة لمؤلف «الإيضاح والبيان» وقد آثرت إيرادها مختصرة لسببين:

الأول: صغر حجم هذه الرسالة التي لا تحتل الإطالة.

الثاني: كون المؤلف قد نُشرت ترجمته في عدد من مؤلفاته المطبوعة

مثل:

- ١ - سبل السلام.
- ٢ - حاشية العدة على شرح العمدة.
- ٣ - ضوء النهار (الذي طبع معه «منحة الغفار» للمؤلف).
- ٤ - ديوان الصنعاني.
- ٥ - توضيح الأفكار.

وذكر الشيخ محب الدين الخطيب الذي ترجم للمؤلف في مقدمة «العدة» على شرح العمدة، أنه استقى ترجمته من نشر العرف، ومصادره: البدر الطالع، ونفحات العنبر، وطيب السمر، وسلافة العصر، والدمية، والتحفة، والحدائق.

وإليك نصّ الترجمة المختصرة:

هو: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي، الكحلاني، ثم الصنعاني. وتُعرف أسرته بأل الأمير، كما يعرف هو: بالأمير الصنعاني. يرجع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

ولد بمدينة كُحْلان: (وتعرف بكحلان عَفَّار) ليلة الجمعة منتصف شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٩٩ هـ.

ثم انتقل مع والده إلى صنعاء سنة ١١٠٧ هـ وعمره ثماني سنوات، وبها نشأ، وقد اعتنى بتربيته والده، وتعهده بحسن النشأة والتعليم.

وفي صنعاء بدأت حياته العلمية حيث تلقى عدداً من العلوم على عدد من مشاهير علمائها في ذلك الزمن، منهم:

- ١ - زيد بن محمد بن الحسن.
- ٢ - صلاح بن الحسين الأخفش الصنعائي.
- ٣ - عبدالله بن علي بن أحمد.
- ٤ - علي بن محمد العنسي.
- ٥ - هاشم بن يحيى بن أحمد الشامي.
- ٦ - عبد الخالق بن الزين الزجاجي الحنفي.

ثم رحل إلى الحجاز، وقرأ الحديث على أكابر علماء مكة والمدينة، قال الإمام الشوكاني في البدر الطالع:

«برع في جميع العلوم، وفاق الأقران، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهر بالاجتهاد، وعمل بالأدلة ونفر عن التقليد، وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية».

وأخذ في نشر العلم: تدريساً، وإفتاءً، وتصنيفاً. وقد جرت له محن عظيمة تولى كبرها بعض من ينتسب إلى أهل العلم ممن أعماهم التقليد والتعصب، وآتبعهم كثير من العوام، وكان سبب ذلك إقباله على كتب السنة المطهرة، واهتمامه بها، وتطبيقه للسنة النبوية، فكان ذلك سبباً لرميه بالنصب.

وكان من بين هذه المحن أن حُبس نحو شهرين على يد الإمام

المنصور بالله. كما همت جماعة بقتله، ولكن الله عز وجل كفاه شرهم، وحفظه من مكرهم.

وقد تتلمذ على يديه كثير من أبناء عصره، كان لبعضهم شهرة عظيمة، ومكانة علمية فائقة، بل بلغ بعضهم رتبة الاجتهاد.

ومن هؤلاء:

١ - عبدالقادر بن أحمد.

٢ - أحمد محمد قاطن.

٣ - أحمد بن صالح بن أبي الرجال.

٤ - الحسن بن إسحاق المهدي.

٥ - محمد بن إسحاق المهدي.

وقد ترك وراءه ثروة علمية، تدل على سعة باعه، وغزارة علمه، وأنه كما قال الشوكاني: «وبالجملة فهو من الأئمة المجددين لمعالم الدين».

ومن أشهر مؤلفاته:

١ - سبل السلام مختصر البدر التمام للمغربي. وهو شرح لبلوغ المرام لابن حجر.

٢ - منحة الغفار حاشية على ضوء النهار.

٣ - العُدَّة حاشية على شرح العمدة لابن دقيق العيد.

٤ - التنوير شرح الجامع الصغير: للسيوطي، في أربعة مجلدات.

٥ - توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار لابن الوزير في علوم الحديث.

٦ - منظومة الكافل لابن مهران، مع شرحها في أصول الفقه.

٧ - وله شعر حسن جُمع في ديوان، وغالبه في المباحث العلمية والتوجع من أبناء عصره، والردود عليهم.

٨ - الإيضاح والبيان، وهي هذه الرسالة.

٩ - الأدلة الجليّة في تحريم النظر إلى الأجنبية، وأنا الآن بصدد تحقيقها.

وله رسائل كثيرة أخرى تُعدّ بالعشرات، في فنون متعددة. وقد طبع بعض مؤلفاته، وما يزال غالبها مخطوطاً.

وفاته: توفي رحمه الله في يوم الثلاثاء ثالث شعبان سنة ١١٨٢ هـ.
ودفن غربي منارة جامع المدرسة بأعلى صنعاء عن ثلاث
وثمانين سنة.

تمهيد

بفضل الله عزوجل، تم لي العثور على رسالة مخطوطة للعلامة
محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، بعنوان:

«الإيضاح والبيان في تحقيق عبارات قصص القرآن»

وكان الفضل - في العثور عليها بعد الله عزوجل - لأخي الفاضل
عبدالله بن محمد الحبشي، الذي دلتني عليها، وساعدني في تصوير نسخة
منها، وأهداها إليّ.

ولما تصفّحتها ألفيتها مطابقة لرغبتني وتوجّهي، ومجال تخصصي وهو
كل ما يتعلق «بعلوم القرآن» أو يمت إليها بصلة.

أهمية الرسالة:

وقد تناولت الرسالة معنى لطيفاً يستحق العناية به، فالمؤلف رحمه الله
تنبه لأمر، قد يثير عند الكثير تساؤلات تفتقر إلى الإجابة المقنعة.

فالأعظ، والخطيب... وغيرهما قد يستدل أحياناً بشيء من القرآن
الكريم فيما يتعلق بقصص القرآن: أعني بالأمور التي قصّها الله عزوجل
علينا من أخبار الأمم الماضية.

وعندما يأتي المرء مثلاً على أمور حكّاها الله عزوجل عن بعض
خلقه، هل يقول فيها: (قال الله تعالى) أو (قال فلان) مثلاً، فيسند القول

إلى مَنْ حَكَاهُ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا...﴾ (١).

فهَلْ يُقَالُ فِيهَا مِثْلًا: قَالَ مُؤْمِنٌ آلَ فِرْعَوْنَ كَذِبًا، أَمْ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُقَالَ قَالَ اللهُ تَعَالَى - حِكَايَةً عَنِ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ، كَذِبًا. فَقَدْ يَقَعُ الْمَرْءُ فِي حَرْجٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

خلاصة الرسالة:

ولكن المؤلف رحمه الله أوضح بالأدلة من القرآن الكريم، ولغة أهل اللسان العربي، أنه يصح نسبة ما حكاه الله عز وجل عن بعض خلقه: إليه سبحانه، لأنه كلام حقيقة، واستدل على ذلك:

١ - بالاجتماع على تعريف كلام الله عز وجل بأنه: «كلام الله المنزَّل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإعجاز بسورة منه المتعبَّد بتلاوته».

٢ - بقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ...﴾ (٢).

فنصَّ على أنَّ القرآن كلامه سبحانه.

٣ - أنه لما عُلم بالاجتماع أن القرآن اسم لما بين الدفتين. تبين بذلك أنَّ ما بين الدفتين كلام الله سبحانه وتعالى حقيقة، ومنه ما حكاه الله تعالى عن الرسل السابقين وأقوامهم.

٤ - أنَّ الله عز وجل حكى أموراً كثيرة عن أمم كانت تتكلم بغير اللسان العربي كالسريانية، والعبرانية وغيرهما، والقرآن نزل باللسان العربي الفصيح، بل بأعلى درجات البلاغة والفصاحة، لأنه أعجز أهل اللسان

(١) سورة غافر: الآية ٢٩.

(٢) سورة التوبة: الآية ٦.

العربي أن يأتوا بسورة من مثله. وكما ينسب القرآن إلى الله تعالى، لأنه كلامه حقيقة كما تبين مما سبق؛ فكذلك يصح أن يُنسب - ما حكاه الله عز وجل - إلى مَنْ حكاه عنه كأن يقال - لِمَا حكاه الله عز وجل عن موسى مثلاً - إنه كلام موسى وذلك باعتبار المعنى.

وعلى هذه فنسبة مثل هذا الضرب إلى الله عز وجل لأنه كلامه حقيقة وإلى موسى عليه السلام، لأنه صاحب المعنى.

فالنسبة إلى كل أحدٍ صادقة صحيحة.

وكذلك نسبة القرآن إلى كل من جبريل ومحمد عليهما السلام، لأنَّ كلاً منهما مُبَلِّغٌ عن الله عز وجل، فهناك ملازمة صح لأجلها إسناد القرآن إلى كل منهما، وهي التبليغ للقرآن عن الله سبحانه. وقد قال الله سبحانه في حق جبريل عليه السلام:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

وقال في حق محمد عليه الصلاة والسلام:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يِقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

ولمَّا كانت النسبة إليه إنما هي باعتبار تبليغه له، فإنَّ الآيات التي جاءت بعدها، توضّح ذلك، وهي قوله سبحانه:

﴿نَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

(١) سورة التكويد: الآيات ١٩ - ٢١.

(٢) سورة الحاقة: الآيات ٤٠ - ٤٢.

(٣) سورة الحاقة: الآيات ٤٣ - ٤٦.

وعلى هذا صَحَّت نسبة الكلام الواحد إلى الله عز وجل، وإلى رسوله وإلى غيرهما، باعتبارات متفاوتة، كما عرفت.

وهنا ذكر المؤلف دليلين:

أحدهما: استخدام أهل اللغة في نسبتهم اللفظ الواحد لمن أنشده ولمن استشهد به ونَسَبَ المعنى لنفسه.

وذلك في قصة ابن الزبير لما دخل على معاوية، وأنشده بيتين لمعن بن أوس، ونسبهما لنفسه، ولم ينكر عليه معاوية ولا معن بعد أن عرفا غرضه من نسبة المعنى لنفسه.

والثاني: إنَّ الله عز وجل أخبر أنَّ بعض ما في القرآن في الصحف الأولى: كصحف إبراهيم وموسى، وزبر الأولين، كما قال تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾^(١).

وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ﴾^(٢).

ومعلوم أنَّ الصحف الأولى، وزبر الأولين، لم تكن باللسان العربي فعلم أن المراد، أنَّ المعاني، أو الأحكام من تلك الصحف، فَصَحَّ الحكم على الشيء الواحد، بأنه قرآن، وأنه - أي معناه - في الصحف السابقة.

ثم دفع إشكالاً وارداً، وهو: إنَّ الله سبحانه كرر بعض القصص في القرآن الكريم في مواضع متعددة. ومعلوم أنَّ المحكي عنه إنما صدر عنه القول في مقام واحد، ومراعاة مقام المحكي عنه هو المطابق لمقتضى الحال، وهو الكلام البليغ، وما عداه من المواضع التي لم يراع فيها ذلك لا يكون الكلام فيها بليغاً، فكيف يقال في حق القرآن، وهو أبلغ الكلام، مع كونه لم يراع مقام المتكلم المحكي عنه في جميع المواضع التي كرر

(١) سورة الأعلى: الآيتان ١٨ - ١٩.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٩٦.

فيها القصص، وإنما راعى ذلك في مواضع دون أخرى: كقصة إبليس مثلاً، فإن القرآن راعى مقام إبليس في موضعين فقط هما: الحجر، وصر، دون غيرهما من المواضع التي أورد فيها قصة إبليس! فهل يقال في هذه المواضع الأخرى أن الكلام فيها غير بليغ؟ لكونه لم يُرَاعَ فيها مقام المتكلم المحكي عنه؟.

وأجاب عن ذلك بما أجاب به أبو السعود في تفسيره، أن الحكاية لا يلزم فيها مراعاة مقام المتكلم المحكي عنه، وإنما يلزم فيها مراعاة أصل المعنى دون غيره، وبذلك يكون القرآن في جميع المواضع بليغاً، لأنه توفر فيه شروط البلاغة، والفصاحة.

ثم أشار إلى أنه ما دام القرآن قد حكى كلام الغير بالمعنى، ألا يكون في ذلك حجة لجواز الرواية بالمعنى؟ وأجاب: بأن القرآن لا يقاس عليه غيره فالحاكي في القرآن هو علام الغيوب الذي لا يخفى عليه شيء، وأما البشر فلا يقدرّون على الإحاطة بمدلولات الألفاظ ومقاصد المتكلم، ولذا نشأ الخلاف بين أهل العلم في جواز رواية الحديث بالمعنى.

ثم أشار إلى إشكال آخر وهو: إذا كان اللفظ القرآني عبارة عن وعاء للمعاني التي حكاها الله عز وجل عن بعض خلقه - إذ الألفاظ ما هي إلا قوالب للمعاني - فمعنى ذلك أن ألفاظ كلام الله سبحانه أجسام وأرواحها لغيره.

ثم أجاب عن ذلك بأن البلاغة ليست في مراعاة المعنى فحسب: بل هي في اللفظ والمعنى معاً، وأورد على ذلك أدلة.

وبذلك ختم الرسالة القيّمة فجزاه الله خيراً ونفع بعلمه آمين.

وصف المخطوطة

عملت على تحقيق الرسالة من خلال نسختين مخطوطتين:

الأولى - وهي التي رمزت إليها بـ (أ) عند التحقيق - تتكوّن من أربع أوراق.

مكتوب على الصفحة الأولى منها العبارة الآتية:

«الإيضاح والبيان، في تحقيق قصص عبارات القرآن العظيم» لمولانا العلامة الشهير، عز الإسلام محمد بن إسماعيل الأمير حفظ الله ببقائه معالم العلوم الدينيّة أمين.

والتسمية المذكورة للرسالة، فيها تقديم وتأخير، في عبارة: «قصص عبارات».

وقد صححنا ذلك، من النسخة الأخرى (ب) بتقديم كلمة: «عبارات».

وأول هذه النسخة:

«بسم الله الرحمن الرحيم. السؤال الواقع عمّا قصّه الله تعالى...»

إلخ.

وآخرها:

«اللهم وفقنا لمعرفة معانيه يا خير مسئول، وارزقنا بركة تلاوته يا خير مأمول، وصلّ على من أنزلته إليه وعلى آله ما هب شمال وقبول، بتاريخ شهر جماد الأول سنة ١١٧٦ هـ».

وتحتوي كل صفحة منها على (٢٣) سطراً تقريباً. كما يحتوي كل سطر على (١٤) كلمة تقريباً. وهي مكتوبة بخط النسخ، وهو الغالب على كتابة المخطوطات اليمنية.

وأما النسخة الأخرى: وهي التي رمزت إليها عند التحقيق بـ (ب)، فتتكون من خمس أوراق.

مكتوب على الصفحة الأولى منها:

«الإيضاح والبيان، في تحقيق عبارات قصص القرآن» تأليف مولانا السيد الإمام العلامة عز الإسلام وبهجة الزمان محمد بن إسماعيل الأمير مَتَّعَ اللهُ بِحَيَاتِهِ آمِينَ.

وهذه النسخة هي التي اعتمدنا التسمية التي وردت فيها.

وأولها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. وبه نستعين. السؤال الواقع عما قصه الله عز وجل... إلخ».

وأخرها: مطابق لما جاء في (أ) عدا العبارة الآتية «تمت بحمد الله، منقولة من خط المؤلف، متع الله بحياته. تاريخ تأليفه ١٠ شهر صفر سنة ١١٧٥ هـ. وكان نقله رابع عشر من جماد الأول سنة ١١٧٥ هـ».

وتحتوي كل صفحة منها على (٢٥) سطراً تقريباً كما يحتوي كل سطر على (١٢) كلمة تقريباً. وهي كذلك مكتوبة بخط النسخ.

وقد ساعدني على تصوير النسخة (أ) من المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء كل من الأخ إسماعيل بن علي الأكوغ والأخ عبد الملك المقحفي، والأخ محمد الطير، فجزاهم الله خيراً وأثابهم على إعاتهم العلماء وطلاب العلم على إخراج التراث اليمني إلى النور ليتنفع به المسلمون. وليكون إخراجهم سبيلاً إلى حفظه وعدم تعريضه للضياع والتلف، والله ولي الهداية والتوفيق.

الاصحاح والبيان في كشف قصص القرآن
عبارات
تأليف مولانا اسد الامام العلامة
عمر الاسلام و احمد الرومان
محرم الحرام ١٤١٥
مع ليدن
٥

صورة غلاف المخطوطة (أ) تم تصويرها من مكتبة الجامع الكبير بصنعاء.

والسابع وروح زرع الرأبغ والماشع تحت كل لوطه من العاظم رياض
 وكل حله منذ فكرها حتى هوى فغانها ما صرنا ناهت عن بلاعته
 العقول واوتت يانه وفيه لاسال الالهة الفعول اللهم وعفت
 لموت معانه يا حرمسول واررنا بركة بلاوتنا يا حرم
 مومون وصل على من ارسله الله على كل ما هب وبال
 وبنول
 مع حله معوله وحط المؤلف مع الله محقق

ما حج بالشمس ١٠٠٠٠٠
 وكن في سنة الحج في سنة ١١٧٥
 ان ١١٧٥

اسم المصنف
 في ٢٤١٠٠٠
 سنة ١١٧٥

الحمد لله الذي جعل
 العلم سبيلا الى النجاة
 في سنة ١١٧٥

لسم الله الرحمن الرحيم بول اللهم في حاسبه من العمار على صو النهار لسيدنا العلامة علي بن
 محمد بن سعيد الامير عاودت ان كان وقع معلوم من ان كل واحد في الج و احوال
 سطره المعلق في ان كان الموقر حصل مجموع فصلهم فلابد لئلا ان كل واحد
 قابل بل يكون ان الموقر حصل في الكل او بالبعض ومع حصوله بالكل ليس كل فرد
 بقابل فليس يعدل من اسراف بل ولو فرض ان كل حجاب فابله في الترتيب و لابد لئلا
 على ان الموقر حصل فنكر حجاب في كل واحد من وقوع الموقر في احد في كل واحد
 فكل جماعه نواحيه عملا ولا سمح فسمح اسرى ما سلك به صاحب الجاه
 هذه المسئلة فسمح انطال تسكينه وابطال كلامه السارح وذكناه معلوم

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة (أ).

الأيضاح والبيان في تحفة قصص عبارات
القران العظيم لمولانا العلامة الشهير
عز الاسلام محمد بن اسماعيل
الامير حفظه الله
ديانة
بمقامه عالم
العلوم
الشرعية
بها

الكتاب رقم ٤٩

صورة غلاف المخطوطة (ب).

غيره دخل بلاغته لان البلاغته المعاني وليد يقال معنى يدبج ويحان يدنع. ولما نسب
هذه جبا بغيره البلاغته فان حقيقته باعدت علم الانسان وليد نفس العرمان في معاني الكلام
بمعنى الحال مع وضاحة كلامه كما في قوله والكلام البليغ ملجأ بق معضى الحال وهذا
مشترك بين لفظه ومعناه وان لا بد ان يطابق معناه ويلفظه ويقدم ان تضاحته
كلامه خلوصها عما ذكرناه من انزياحها والتعريف وصرف الثالث وكلامه اليه غير
عن غير البليغ الكلام قطعاً لكونه غلام العيوب فدر علم مطابقه كل عبارته اقتضاً كما في قوله
لان من قرره في كلامه الى السجود وكفى الفاظهم افصح كلام كما عرفنا من خلوصه عن البلاغته
العيوب وشاهد من الامر ان اي معانيه معضى الحال ويخلص عما ذكره من نصب رخص البلاغته
ولما سلم ان العيوب في الكلام معانيه بل لفظه ومعناه بل يدنا في المعنى بجواره جافيه
والفرد عن البلاغته غير صافية وليد يقال رب معنى سار بجوارهم عنهم بالاسماع وتارة
ذكر المعنى بعينه وبعبارة اخرى تعشيقها الاذان وتكررها الطماع والمعنى واحد كما في قوله
ان بعض الثوب لرى ومناحه منها ذهبت اسنانه مطب عابره القصص عليه روياء وقال
بذلك قرابة تلك جميعاً فامر بتعلق اسنانه العا برعم طلب ثابراً الخ وقصها عليه وقال
يطوعه غير الملك وينهب اقرباؤه وعنده فاجارده واحس حلتته والحق ان المعنى واحد
ويجوز العا برعم فان من حاله عزه وذهب قريباؤه مستديماً اهله قله ولكنه العا برعم الاول اما العا برعم
والحق ان المعنى واحد من غير تغيير وكما في قوله اشق لثوبى حيا ورات الدس واذا عرفت هذا علمت
ان عذرة العرمان البليغ العبارة فانها التي استمعنا في تلك الاقاصيص جلد الاعجاز وصدرتها معجزة
واوردتها الى الاسماع في تلك الجلاوه وانزلت في اللبس اسرف منزلة عذرا ليلاه وكما في قوله
حكاية الله بها مثلاً كلامه الساكن الى ناس عر حامر عرابيه او شر ما ينيه او عهها لعتت معجزة كما قرناه في قوله
وذلك لئلا ينجس والمعنى واحد ويصير سوراً ضم وكلامه صاحب الطماط على قوله لعلهم منى معني
الاول لم يربنا لغت عن الطماع وبنايتها الاستماع وحلتت بقينا ان حكايه العرمان معاني كلامه الاولين
وتخص الماضي من نسبتها محلاوة وبراءة وانزلتها في اللبس بجلا عاليا نازك كشمه وقرى طرفة
ما كيا وتامر بطلب لم اسباب الرجا وزجره به فتراه مستبشراً سا ليا هو قرعة عن العالى والسابع ورمى
روح الواسع وكما اشع فتحت كل لفظ من الفاظه راض وكل جملة منه فيجها حواهر معانيها وبياض
ناهت عند بلاغته الحقول واروت ما نرى عانه الساكن الى ناس المعجزة اللهم ووعنا معرفته
معانيه باخر مشول وارررنا تركه بالاروتة ما خسر ما حول وصل على من انزلت اليه وعلى
الم ماهب شحال وقولنا ما ج سهر طر الاول ١١٧٦

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة (ب).

عملي في الرسالة

- ١ - تم ضبط النص بمقابلة النسختين، اللتين رَمَزْتُ إلى إحداهما بـ (أ) وإلى الأخرى بـ (ب).
- ٢ - أثبتُّ في الأصل العبارة السليمة، سواء من (أ) أو (ب) وأشرت في الهامش إلى عبارة النسخة الأخرى.
- ٣ - قد أجد العبارة في كلا النسختين غير سليمة، فأنبّه إلى ذلك أيضاً في الهامش، وأذكر صواب العبارة.
- ٤ - قد أجد في إحدى النسختين سَقَطاً، فأنبّه على ذلك.
- ٥ - أحياناً توجد عبارة زائدة في إحدى النسختين لا معنى لها فأحذفها وأنبّه على ذلك.
- ٦ - هناك غموض في عبارات المؤلف، أوضححتها ببعض التعليقات في الهامش.
- ٧ - من خلال مقابلة نصّ عبارة أبي السعود في تفسيره، وما نقله عنه المؤلف في الرسالة، وجدت تصرّفاً للمؤلف، ربما يكون مخلّاً في بعض الأحوال، لذا صححت العبارة بإثبات نصّ عبارة أبي السعود كما هي في تفسيره، منبّهاً على ذلك في الهامش.
- ٨ - ضبطت الآيات القرآنية، وعزوتها إلى مواطنها من السور.
- ٩ - شرحت الألفاظ الغريبة في الهامش بالرجوع إلى كتب اللغة.

- ١٠ - ترجمت للأعلام الواردة في الرسالة، مراعيًا الاختصار في ذلك، بحيث تكون الترجمة مجرد تعريف بصاحب الترجمة.
- ١١ - جعلت الآيات القرآنية بين قوسين هكذا ﴿ ﴾ وجعلت كلام المؤلف الذي أوضح به كلام أبي السعود ومزجه به بين قوسين كبيرين هكذا () وجعلت الزيادة الموجودة في إحدى النسختين دون الأخرى، وكذا في تفسير أبي السعود، بين معقوفتين هكذا [] .
- ١٢ - وضعت عناوين للرسالة، مستوحاة منها، تنبّه القارئ إلى محتوى الرسالة، وتربط بين أجزائها، وتزيدها حُسناً في إخراجها.
- ١٣ - وضعت فهرس للرسالة تحتوي على:
- فهرس الآيات القرآنية .
 - فهرس الأعلام .
 - فهرس الأماكن .
 - فهرس المراجع .
 - فهرس الموضوعات .
- وقد جعلتها مرتبة حسب الترتيب المذكور.

في يوم الأربعاء ٣ من محرم الحرام عام ١٤١١ هـ
الموافق ١٩٩٠/٧/٢٥ م
د. عبدالوهاب لطف زيد الديلمي

سلسلة تراث الإمام الصنعاني

الإيضاح والبراهين

في تحقيق

إبراهيم بن قصى القرشي

للعلامة محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني

١٩٠٩ - ١١٨١ هـ

١٦٨٨ - ١٧٦٨ م

تحقيق

الدكتور عبد الوهاب لطف الديلمي

بسم الله الرحمن الرحيم [وبه نستعين]^(١). السؤال الواقع عما قصّه الله تعالى^(٢) في كتابه الكريم، من أقاصيص القرون الأولين، كقصة الأنبياء عليهم السلام مع قومهم من المؤمنين والكافرين، وقصة إبليس اللعين في امتناعه عن^(٣) السجود، وجداله لربّ العالمين.

المحكّي في القرآن كلام من هو؟

هل هي عباراتهم^(٤) وكلامهم الذي قصّه الله في كتابه بعين كلامهم؟ أو هي حكاية لمعاني كلامهم بألفاظ الله [تعالى]^(٥) وكلامهم المحكي كان بعبارات أخرى؟.

القرآن كله كلام الله حقيقة:

فالجواب: أنه قد اتفق [أئمة]^(٦) الأمة المحمّدية سلفاً وخلفاً، أن القرآن كلام الله سبحانه [ونصّ الله أنه كلامه في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾^(٧)].

-
- (١) الزيادة من (ب).
 - (٢) في (ب) «عز وجل».
 - (٣) في (ب) «من».
 - (٤) في (ب) «عبارتهم».
 - (٥) الزيادة من (ب).
 - (٦) الزيادة من (أ).
 - (٧) سورة التوبة: الآية ٦. وهذا هو الدليل الأول على أن القرآن كلام الله حقيقة.

وإذا أطلق أنه كلام، فالمراد لفظه ومعناه، حتى يقوم^(١) دليل^(٢) يدل أنه حكاه الله عن غيره. فإنه يقال: إنه كلام الله حكاه لنا عن معاني من حكاه عنه من الأمم^(٣) و[قد]^(٤) قال أئمة أصول الفقه - في حقيقة القرآن -: إنه كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٥) للإعجاز بسورة منه، المتعبّد بتلاوته^(٦). وهذا لفظ جمع الجوامع لابن السبكي^(٧) وفي الغاية - لحسين بن الإمام [القاسم]^(٨) - مثله، وفي غيرهما من كتب الأصول.

وإذا كان هذا حقيقة القرآن - وقد عُلم أن القرآن [اسم]^(٩) لما بين الدفتين^(١٠) إجماعاً - فكل ما بين الدفتين كلام الله حقيقة^(١١).

الحكاية في القرآن الكريم هي من كلام الله:

ومنه ما حكاه الله تعالى من قصص الأولين من رسله وأقوامهم،

-
- (١) في (أ) بعد قوله - «يقوم» زيادة (فالمعنى كلامهم) ولا معنى لها.
 - (٢) في (أ) «دليله».
 - (٣) هذه الجملة التي بين معقوفين، جاءت في (ب) في مكان آخر، وقد أثبتناها هنا لمناسبتها في هذا المكان كما جاءت في (أ).
 - (٤) زيادة في (أ).
 - (٥) في (أ) «عليه السلام».
 - (٦) وهذا هو الدليل الثاني على أن القرآن كلام الله حقيقة.
 - (٧) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو النضر، مؤرخ، باحث، فقيه، ولد في القاهرة عام ٧٢٧ هـ وتوفي في دمشق عام ٧٧١ هـ، وهو المعروف بتاج الدين السبكي. انظر الدرر الكامنة، لابن حجر (٤٢٥/٢).
 - (٨) الزيادة من (ب). وهو الحسين بن القاسم بن محمد الحسني، من أئمة اليمن الأعلام، ولد عام ٩٩٩ هـ، ووفاته عام ١٠٥٠ هـ، وهو مدفون بمدينة زمار. انظر البدر الطالع، للشوكاني (٢٢٦/١).
 - (٩) الزيادة من (ب).
 - (١٠) الدفتين: تشبيه «دَفَّة» قال في القاموس: الدَّفُّ بالفتح: الجَنْبُ من كل شيء أو صفحته، كالدَّفَّة. ودَفَّتْ المصحف: ضِمَامَتَاهُ. انتهى.
 - (١١) وهذا هو الدليل الثالث - وهو الإجماع - على أن ما بين الدفتين كلام الله حقيقة.

المصديقين والمكذّبين، فإنه كلام ربّ العالمين، حكاه عنهم بمعناه [فالمعنى كلامهم]^(١) واللفظ كلام الله قطعاً وإجماعاً؛ لما هو معلوم من أنّ ألفاظ من حكى الله عنهم ألفاظ سريانية كآدم، وعبرانية كموسى وقومه.

ومعلوم بالضرورة أنّ القرآن عربي بل أبلغ كلام عربي وبنصّ الله [سبحانه وتعالى]^(٢) حيث قال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾^(٣) وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ [لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ] ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٤) ^(٥) ^(٦).

اللفظ كلام الله، والمحكيّ كلام العباد:

واتفقت الأمة أنّ أقاصيص القرآن كلام الله تعالى، حكايةً عن كلام محكي، فالحكاية كلام الله، والمحكيّ كلام العباد، حكاه الله بمعناه لا بلفظه، فالعبارة القرآنية هي كلام الله، والمعاني هي معاني كلام من حكاه عنه: عن^(٧) فرعون وقومه مثلاً، وغيرهما ممّن قصّ الله أخبارهما^(٨).

نسبة الكلام إلى الله وإلى غيره:

فإن قلت: فكيف صحّ أن يقال له: كلام الله، وأن يقال له: كلام موسى عليه السلام مثلاً؟.

(١) الزيادة من (ب).

(٢) الزيادة من (ب).

(٣) سورة يوسف: الآية ٢.

(٤) ساقط في (أ، ب).

(٥) سورة الشعراء: الآيات ١٩٣ - ١٩٥.

(٦) وهذا هو الدليل الرابع على أنّ القرآن كلام الله حقيقة، وهو كونه عربياً وكون كلام المحكي عنهم غير عربي.

(٧) في (ب) «من».

(٨) هكذا في (أ، ب) ولعل الصواب «أخبارهم».

قلتُ: إن أُريد الألفاظ، فهي كلام الله، لأنها ألفاظه حقيقة، وإن أُريد المعنى، صحَّ أن يقال: إنه كلام موسى [عليه السلام]^(١).

فنسبته إلى الله حقيقة، لأنه تعالى عبّر بألفاظ القرآن عن معاني كلامهم. فإنَّ القائل - في مثل قوله تعالى: ﴿[وَ] ^(٢) قَالَ مُوسَى يَنْفِرَعُونَ إِيَّيْ رَسُوْلٌ [مِنْ] ^(٣) رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ ^(٤) -: إنه كلام موسى [عليه السلام]^(٥)، صادقٌ وحق^(٦)؛ وقد نسبه الله إلى موسى حيث قال: ﴿قَالَ مُوسَى﴾.

وإن قال القائل: إنه قال الله ذلك. فهو حق وصدق، فإنه عبارة القرآن الذي هو كلام الله. فنسبته إلى الربِّ وإلى رسوله صحيحة، لأن الله سبحانه له العبارة، وموسى عليه السلام له معناها، فالنسبة إلى كلِّ أحد صادقة صحيحة^(٧).

نسبة القرآن إلى مبلغه:

فهي إلى الله حقيقة، وإليه صلى الله عليه وآله وسلم وإلى جبريل مجاز فإنَّ الله سبحانه نسبه إلى جبريل، وجعله قولاً له، فقال: ﴿إِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلِ رَسُوْلٍ كَرِيْمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِيْنٍ﴾ ^(٨) فجعله قولاً لجبريل، لأنه مبلغه [إلى]^(٩) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(١٠).

(١) الزيادة من (أ).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ، ب).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ، ب).

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٠٤.

(٥) الزيادة من (ب).

(٦) هكذا في (أ، ب) وهو من الوصف بالمصدر.

(٧) نهاية الورقة الأولى من (أ).

(٨) سورة التكويد: الآيتان ١٩ - ٢٠.

(٩) الزيادة من (أ).

(١٠) نهاية الورقة الأولى من (ب).

بل جعله ونسبه قولاً لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال:
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٩) ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٤٠) ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا نُوْمِنُونَ﴾ (٤١) ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾ (٤٢).

فنسبه قولاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه بلغه إلينا كما بلغه جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وذلك فتصح (٢) نسبه إلى الله تعالى، لأنه كلامه إجماعاً ونصاً، وتصح نسبه إلى موسى مثلاً، لأنه معنى كلامه قطعاً، وتصح نسبه إلى جبريل كما نسبه الله قولاً له، وتصح نسبه إلى محمد ﷺ، لأن الله جعله قولاً له.

الاعتبارات المتفاوتة في نسبة الكلام:

فإن (٣) قلت: [وكيف] (٤) تصح نسبة الكلام الواحد إلى الله وإلى رسوله وإلى غيرهما ممن ذكر؟.

قلت: إذا نسبه إلى الله، وقلت: هذا كلام الله. فهو حق أنه كلامه تعالى عبر به حكاية عن موسى عليه السلام، وألبسَهُ عبارة عربية رافلة (٥) في أبلغ العبارات، وصار بها معجزاً، فنسبه إليه تعالى، لأنه كلامه عبر به عن كلام موسى عليه السلام.

وإذا قلت: هو كلام موسى، فهو حق وصدق، لأنه معنى كلامه، فصح أن يُقال: إنه كلامه، باعتبار معناه، وبأنه قول جبريل، وقول محمد ﷺ، لأنهما بلغاه عن الله.

(١) سورة الحاقة: الآيات ٣٨ - ٤٢.

(٢) هكذا في (أ، ب) ولعلها: «ولذلك تصح».

(٣) في (ب) «وإن».

(٤) الزيادة من (ب).

(٥) قال في القاموس: رَفَلَ رَفْلاً وَرَفْلَانًا، وَأَرْفَلَ: جَرَّ ذَيْلَهُ وَتَبَخَّرَ. انتهى. والمراد هنا: الكناية عن جمال عبارتها، حتى كأنها ترفل فيها.

دليل صحة نسبة الكلام إلى مَنْ قال معناه:

فإن قلت: وهل ورد في كلام العرب نسبة الكلام إلى من قال معناه^(١) واللفظ لغيره؟

قلت: نعم. ورد ذلك كثيراً، منه ما ذكره سعد الدين التفتازاني^(٢) في المطوّل، أنه دخل عبدالله بن الزبير^(٣) على معاوية بن أبي سفيان^(٤)، فأنشدته ابن الزبير بيتين، وهما:

إذا أنت لم تكرم أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حدّ السيف من أن تضيّمه إذا لم يجد عن شفرة^(٥) السيف مزحل

(١) في (ب) «معناه».

(٢) هو مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، من أئمة العربية، وعلم البيان، والمنطق، ولد بتفتازان من بلاد خراسان، عام ٧١٢ هـ وتوفي بسمرقند عام ٧٩٣ هـ. انظر الدرر الكامنة: لابن حجر (٤/٣٥٠).

(٣) هو عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر، فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة، بويح له بالخلافة عام ٦٤ هـ بعد وفاة يزيد بن معاوية، وحكم عدداً من الأقطار، كما كانت عاصمة خلافته المدينة، ودامت نحو ثمان سنين، قتل بعدها في مكة بعد حروب عظيمة نشبت بينه وبين بني أمية، وبعد أن سيروا إليه الحجاج بن يوسف الثقفي أيام عبدالملك بن مروان. ولد بالمدينة في العام الأول للهجرة، وقُتل في عام ٧٣ هـ. انظر الكامل: لابن الأثير (٤/١٣٣)، وفوات الوفيات (١/٢١٠)، والحلية (١/٣٢٩).

(٤) هو معاوية بن أبي سفيان صحربن حرب بن أمية القرشي الأموي، مؤسس الدولة الأموية بالشام، كان يُعدّ من دهاة العرب، وكان من فصحاء العرب، كان مولده بمكة عام ٢٠ قبل الهجرة، وكان من مسلمة الفتح، جعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد كتّاب الوحي، شارك في بعض الفتوحات زمن خلافة أبي بكر، وولاه عمر وعثمان، ثم نشبت بينه وبين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حروب طاحنة إثر مقتل عثمان رضي الله عنه، انتهت بتثبيت الملك لمعاوية في الشام، وإمامة علي في العراق وإثر مقتل الإمام علي بويح لولده الحسن بالخلافة فتنازل عنها لمعاوية عام ٤١ هـ وسُمّي عام الجماعة. مات في دمشق عام ٦٠ هـ. انظر الكامل: لابن الأثير (٤/٢) والطبري (٦/١٨٠) ومنهاج السنة لابن تيمية (٢/٢٠١ - ٢٢٦).

(٥) في (أ) «شعره».

وأوهمه أنهما^(١) من شعره، فقال له معاوية: لقد شعرت بعدي يا أبا بكر. فبينما هما في ذلك المجلس، إذ دخل معن بن أوس^(٢)، فأنشد قصيدته التي أولها:

لعمرك لا^(٣) أدري وإني لأوجل^(٤) على آينا تعدُّو المنية أول

ومن جملتها البيتان. فالتفت معاوية إلى ابن الزبير، فقال: ألم تخبرني أنهما لك؟ فقال: المعنى لي، واللفظ له. فسكت معاوية ومعن^(٥)، ولم يردًّا ويقولان^(٦): أن^(٧) هذا لا يصح في لغة العرب، بل سكتا وأقرّاه، وهما عربيّان، فدلّ على صحة أن يُنسب الكلام باعتبار لفظه لمن تكلم به، ويُنسب إلى من قال معناه.

ولو كان كلام ابن الزبير باطلاً لَطَلَّح^(٨) عليه معاوية، وأظهر غلظه، فإنه له كاره^(٩)، يُحبّ هضم جانبه.

وأما قول القزويني^(١٠): إن هذا النوع مذموم.

(١) في (ب) «أنها».

(٢) ستأتي ترجمته.

(٣) في (ب) «ما».

(٤) في (أ) «لأرجل».

(٥) هو معن بن أوس بن نصر المزني، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. له مدائح في الصحابة: كُفَّ بصره في آخر عمره، وكان عبدالله بن عباس وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب يبالغان في إكرامه، مات عام ٦٤ هـ في المدينة. انظر: خزنة الأدب: للبغدادي (٢٥٨/٣).

(٦) في (أ، ب) «يقولان» والصواب ما أثبتناه.

(٧) في (أ) «أما».

(٨) قوله: لَطَلَّح. قال في القاموس: وطلَّح عليه تطلّيحاً: ألحَّ. وقال الزمخشري - في أساس البلاغة: طلَّح على غريمه: ألحَّ عليه حتى أتعبه.

(٩) في (أ، ب) كارهاً. والصواب ما أثبتناه.

(١٠) هو محمد بن عبدالرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين، من فقهاء الشافعية، ويُعدّ من أدباء الفقهاء، لجمعه بين الفقه والأدب. أصله من قزوين. ولد بالموصل سنة =

فيدفعه ما ذكرناه من أنه لو كان مذموماً عند العرب لما سكت معاوية
ومعن عن الرد على ابن الزبير. ويدل عليه قول [الله تعالى] ^(١): ﴿إِنَّ هَذَا
لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ ^(٢).

فإنَّ المراد: أنَّ معاني القرآن ^(٣) في الصحف الأولى، أي معانيه
القرآنية ^(٤) فيها، كما أنَّ معانيها فيه، ومثلها: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ﴾ ^(٥) فبعض
معاني زبر الأولين في القرآن بغير لفظه ^(٦) كما أنَّ بعض معاني القرآن في
زبر الأولين وتلك الزُّبُرُ وصحف إبراهيم وموسى، هي كلام الله، كما أنَّ
القرآن كلامه وبعض معانيه لغيره [تعالى] ^(٧)؛ فمِن معنى القرآن ما هو في
الزبر الأولى بغير لفظه، ويُسمَّى كلام الله، ويسمَّى كلام إبراهيم وكلام
موسى عليهما السلام.

إنَّ الذي قال القزويني إنه مذموم، هو أخذ اللفظ كله من غير تغيير
لنظمه، فهذا هو المذموم، وهو الذي يُسمَّى سرقة محضه، ويسمى مسخاً ^(٨)
وانتحالاً ^(٩).

= ٦٦٦ هـ وتوفي بدمشق سنة ٧٣٩ هـ. انظر: البدر الطالع (١٨٣/٢) والبدية والنهاية

(١٤/١٨٥) والدرر الكامنة (٣/٤).

(١) في (أ) «قوله». والزيادة من (ب).

(٢) سورة الأعلى: الآيتان ١٨ - ١٩.

(٣) في (ب) «القرآنية».

(٤) في (أ) «القرآن».

(٥) سورة الشعراء: الآية ١٩٦.

(٦) في (ب) «لفظ».

(٧) الزيادة من (ب).

(٨) في (ب) «سحراً».

(٩) وعلى هذا فالقزويني يرى صحة نسبة ما حكاه الله عز وجل عن الأمم الماضية إليه
سبحانه، لأن القرآن لم يأت من كلام الأمم الماضية إلا بالعنى دون اللفظ، أي أنه قد
حصل التغيير لنظم كلام الأمم السابقة حين جيء بالكلام على اللسان العربي البالغ
النهاية في البلاغة والفصاحة.

=

والمراد من تغيير نظمه، التغيير لكيفية التركيب والتأليف الواقع بين المفردات؛ فإذا قد وقع التغيير، خرج عن كونه مذموماً، وهذا الواقع في كتب الله [تعالى] (١)، في التعبير عن قصص الماضين، قد غُيّر تركيبه وأسلوبه، وإنما الباقي (٢) هو معناه.

فإذا عرفتَ هذا، فاعلم أن أقاصيص القرآن، كلام الله لفظاً وكلام المحكي عنه معنىً.

تعدد عبارات القرآن عن الموقف الواحد:

ثم لا يخفى أن الله سبحانه قد حكى قصصاً كثيرة بألفاظ عديدة مختصرة ومطوّلة، ألا ترى أنه حكى قصة موسى عليه السلام في أربعين ومائة موضع (٣)، كما قاله أبو محمد بن حزم (٤)، فأطولها في سورة طه، حتى قال بعض العلماء، كان ينبغي أن تسمى سورة موسى (٥). وقال

= ومعنى هذا أيضاً أن القزويني لا يرى احتجاج المؤلف بإقرار معاوية ومعن لابن الزبير دليلاً صالحاً للاحتجاج على ذلك، لأن ابن الزبير لم يغير في نظم الكلام شيئاً، فدخل - عند القزويني - في قسم المذموم، ومراد المؤلف من إيراد رأي القزويني هنا: بيان أن القزويني لا يمنع من نسبة الكلام إلى من قال معناه على الإطلاق، ولكن بالشرط المذكور، ثم إن المؤلف يرى أن إقرار معاوية ومعن لابن الزبير حجة على القزويني. والله أعلم.

(١) الزيادة من (ب).

(٢) في (أ) «إلا معناه» مكان «هو معناه».

(٣) في (أ، ب) «موضِعاً» والصحيح ما أثبتناه.

(٤) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، عالم الأندلس في عصره، ولد في قرطبة عام ٣٨٤ هـ، وتوفي في بادية لبلة من بلاد الأندلس عام ٤٥٦ هـ. من أشهر مؤلفاته «المحلى» و«الإحكام لأصول الأحكام». انظر سير أعلام النبلاء: للذهبي (١٨٤/١٨) ولسان الميزان: (١٦٨/٤).

(٥) هذا لا يستقيم إلا على القول بأن أسماء السور اجتهادية. وقد جزم السيوطي في الاتقان (١٥٠/١) تحقيق أبو الفضل إبراهيم، بأنه قد ثبت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار.

آخرون: كاد القرآن أن يكون حكاية عن موسى. وأخصرها في الفرقان حيث قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾.

ثم قصَّ الله سبحانه في هذه السورة قصصاً كثيرة مختصرة، نحو قوم نوح وعاد وثمود.

مثال على تعدد العبارات:

ولنذكر قصة واحدة، كررها الرب تبارك^(١) وتعالى في القرآن، في سبعة مواضع بعبارات^(٢) مختلفة، وهي قصة إبليس اللعين، فإن الله تعالى حكاها في سورة البقرة، فقال: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٤﴾﴾.

وفي الأعراف: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٥﴾﴾ وفي الحجر: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ وفي سبحان: ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٨﴾﴾.

وفي الكهف: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنَّا أَمْرٍ بَهِيمٍ ﴿٩﴾﴾ وفي

(١) الآيتان: ٣٥ - ٣٦.

(٢) في (ب) «سبحانه» مكان «تبارك».

(٣) في (ب) «بعبارة».

(٤) آية: ٣٤.

(٥) آية: ١٢.

(٦) آية: ٣٣.

(٧) نهاية الورقة الثانية من (أ).

(٨) آية: ٦١. وقوله: «وفي سبحان» المراد بها: سورة الإسراء.

(٩) آية: ٥٠.

طَه (١): ﴿وَإِذْ (٢) قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (٣)﴾
 وفي ص: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ
 أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٤)﴾.

إشكال ودفع للإشكال:

إذا تقرر هذا وعلمت أنها قصة واحدة لا غير، وموقف واحد لا سوى، فإنه تعالى، إنما أمر الملائكة وإبليس بالسجود لآدم مرة واحدة، ولم يُجب إبليس إلا جواباً واحداً في خطاب واحد، وقد عبّر الله تعالى عنها بسبع عبارات، كل واحدة منها تغاير الأخرى، والمحكي عنه خطاب واحد، في مقام واحد، بعبارة واحدة. ومن ها هنا (٥) نشأ لنا إشكال، أشار إلى دفعه أبو السعود المحقق في تفسيره المسمى «إرشاد ذوي (٦) العقل السليم إلى مزايا كتاب الله الكريم» نبّه عليه: أي على دفعه في سورة الأعراف عند حكاية الله سبحانه لمقاولة (٧) إبليس اللعين، وجداله لرب العالمين، فإنها تنوعت (٨) العبارات والمجادلات، كما قرناه مما قدّمناه.

(١) نهاية الورقة الثانية من (ب).

(٢) في (أ) «وإذا».

(٣) آية: ١١٦.

(٤) الآيتان ٧٥ - ٧٦.

(٥) في (ب) «ومن هنا».

(٦) في (أ) «ذي» وفي كشف الظنون (١/٦٥) «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» وهذه التسمية هي عين التسمية المكتوبة على ظهر التفسير المذكور المطبوع. وأبو السعود هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، جمع بين الفقه والأصول واللغة، والشعر، وهو من موالى الروم، ولد بالقرب من القسطنطينية عام ٨٩٨ هـ وتوفي بالقسطنطينية عام ٩٨٢ هـ. انظر شذرات الذهب: لابن العماد (٣٩٨/٨).

(٧) قال في المعجم الوسيط: قوله في الأمر: فواضه وجادله.

(٨) في (ب) «من العبارات».

وقد تقرر عند علماء المعاني والبيان، وأئمة تفسير القرآن، أن أبلغ الكلام في الأكوان [هو]^(١) القرآن الذي عجز عن معارضته، والإتيان بمثله، الإنس والجان كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٢).

وتقرر عند مَنْ ذَكَرَ مِنَ الْأئِمَّةِ: أَنَّ حَقِيقَةَ الْبَلَاغَةِ: مِطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِمَقْتَضَى الْحَالِ مَعَ فَصَاحَةِ كَلِمَاتِهِ. وَحَقِيقَةُ فَصَاحَةِ كَلِمَاتِهِ: هِيَ خُلُوصُهَا عَنِ الْغُرَابَةِ وَالتَّعْقِيدِ وَضعف التَّأْلِيفِ، كَمَا قَرَّرَهُ أئِمَّةُ الْبَيَانِ. وَمَعَ تَعَدُّدِ الْعِبَارَاتِ وَتَنوعِهَا وَإِخْرَاجِهَا فِي أَسَالِيبٍ عَدِيدَةٍ، يَلْزِمُ أَنَّهُ قَدْ فَاتَ مِطَابَقَةَ مَقْتَضَى الْحَالِ فَتَوَاتُ الْبَلَاغَةَ، وَحَاشَا كَلَامَ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

ثم إنه قد علم يقيناً: أن خطاب الله للعين كان مرة واحدة في وقت^(٣) واحد؛ فيقال: فبأيّ عبارة كانت المقابلة من السبع العبارات؟ وبأيها كانت المجادلة؟.

هذا منشأ الإشكال الذي أشار المحقق أبو السعود إلى دفعه، وقد بسطنا كلامه إيضاحاً لبيانه، وإلاً فعبارته غير مبسطة.

ثم إنه دَفَعُ^(٤) هذا الإشكال، وأطال المقال فنسوق^(٥) كلامه ونمزجه ببيانه، فإنّ عبارته تفتقر إلى البيان إيضاحاً للمراد^(٦)، كما أوضحنا بيان [محل]^(٧) الإيراد، فإنه قال:

(١) الزيادة من (ب).

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٣) في (ب) «موقف».

(٤) في (أ) «وقع».

(٥) في (أ) «ففسوق».

(٦) في (ب) «لمراده».

(٧) الزيادة من (ب).

منشأ الإشكال:

فإن قلت: لا ريب في أن الكلام المحكي، [له]^(١) عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة، تقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم، بحيث لو [أخل بشيء]^(٢) من ذلك، سقط الكلام عن رتبة^(٣) البلاغة البتة، فالكلام الواحد المحكي على وجه شتى، إن اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية، فذلك الوجه [هو]^(٤) المطابق لمقتضى الحال، والبالغ إلى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه.

دفع الإشكال:

إذا^(٥) تمهّد^(٦) هذا فنقول: لا يخفى أن استنظار اللعين: (أي طلبه الإنظار بقوله: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٧))^(٨) إنما صدر عنه مرة واحدة [لا غير]^(٩): (أي بلفظ واحد من مقام واحد) فمقامه: (أي مقام طلب الإنظار) إن اقتضى إظهار الضراعة^(١٠) وترتيب الاستنظار على الحرمان

(١) الزيادة غير موجودة في (أ، ب) وهي موجودة في أبي السعود.

(٢) الزيادة من أبي السعود.

(٣) كذا في أبي السعود، وفي (أ، ب)، «مرتبة».

(٤) الزيادة من أبي السعود.

(٥) في (أ) «إذ».

(٦) في اللسان: يقال: مهّدتُ لنفسي، ومهّدت: أي جعلت لها مكاناً وطيباً سهلاً اهـ.

وفي القاموس: «المهد: الموضع يهياً للصبي ويوطأ» انتهى. والمراد هنا: أن ما سبق من الكلام صار بمنزلة التوطئة لما يأتي بعده.

(٧) سورة الأعراف: الآية ١٤.

(٨) ما بين القوسين الكبيرين، زيادة من المؤلف، قصد بها توضيح كلام أبي السعود، فتنبه

لأمثاله في المواضع الآتية.

(٩) الزيادة من أبي السعود.

(١٠) في (ب) «الطراعة».

المدلول عليه بالطرد والرجم^(١)، (يريد أنه كما قال تعالى: ﴿فَأَهِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾^(٢) ترتب عليه طلب إبليس للإنظار بقوله: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾^(٣) فرتب (أي إبليس) استدعاء الجبر في مقابلة الكسر (يريد أنه لما حصل لإبليس الكسر بطرده ورجمه وانحطاطه من السماء، أو الجنة، وإخراجه من الجنة، طلب من الله أن يجبر كسره بالإنظار، كما هو معلوم من قوله - في سورة الحجر، وسورة ص - حيث قال فيهما: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾^(٤) دون سورة الأعراف، فإن فيها - بل وفي غيرها من الخمس القصص - لم يظهر اللعين الضراعة، فإنه قال في الأعراف: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فأتى في طلب الإنظار بعبارة نابية^(٥)، أخرجها مخرج الأمر للرب أن يُنظره^(٦)، ولم يظهر الضراعة كما أظهرها في سورتي^(٧) الحجر وص، حيث قال فيهما: ﴿رَبِّ﴾ منادياً له مقرأً بربوبيته^(٨)، متضرعاً ذليلاً^(٩).

(١) عبارة أبي السعود: «وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرد، على نهج استدعاء الجبر في مقابلة الكسر، كما هو المتبادر من قوله: «رب فانظرنى، حسبما حكى عنه في السورتين» وعبارة المؤلف فيها تصرف.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٣.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥.

(٤) سورة الحجر: الآية ٣٦ وسورة ص: الآية ٧٩.

(٥) في (ب) «جافية».

(٦) في (ب) «ينصره».

(٧) في (ب) «سورة».

(٨) في (أ) «ربوبته».

(٩) يريد أن إبليس أظهر الضراعة والذلة في مناداته لله عز وجل بصفة الربوبية (رب) ثم جاء «بالفاء» الدالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها. فرتب طلب الإنظار على ما حل به من الطرد والحرمان: أي على طرد الله سبحانه له من الجنة، وحرمانه من رحمته سبحانه. وهذا الأسلوب هو الوارد في سورتي الحجر وص: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ دون غيرها من المواضع الأخرى.

قال أبو السعود: فتكون^(١) (أي عبارة اللعين في سورة الأعراف) بمعزل عن المطابقة لمقتضى الحال فضلاً عن الخروج إلى معارج الإعجاز، (ذلك أن عبارته في سورة الأعراف، لم تطابق مقتضى الحال، لعدم إظهار الضراعة^(٢) والانكسار، فإن المقام يقتضي إظهارهما، ولم تدل عبارته في الأعراف عليهما، إنما وقعت الدلالة عليهما في سورتي الحجر وصّ؛ ومعلوم أن اللعين كان في مقام طرده وإهباطه ضارعاً ذليلاً، فكيف لم تأت العبارة في الأعراف دالةً عليهما؟).

ثم قال أبو السعود: قلنا: مقام استنظاره (أي طلبه النَّظْرَةَ^(٣)) والبقاء في الدنيا إلى يوم البعث، فأخبره الله أنه من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، وهو انقضاء دار الدنيا).

وقد كان مطلوبه الإنظار إلى يوم البعث مقتضياً^(٤) [لما ذكر]^(٥) من إظهاره الضراعة، وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه [بالطود]^(٦) الرجم، وكذا مقام الإنظار مقتضٍ لترتيب الإخبار بالإنظار^(٧) على الاستنظار. وقد طبّق الكلام عليه في تينك السورتين (يريد بهما سورة

(١) عبارة أبي السعود: «فما حكى هنا [يعني في سورة الأعراف] يكون بمعزل... إلخ».

(٢) في (ب) «الطراعة».

(٣) قال في القاموس: «وَالنَّظْرَةُ كَفَرَحَةٍ: التأخير في الأمر» انتهى.

(٤) في (أ، ب) مقتضى. والصواب ما أثبتناه. والمؤلف هنا تصرّف في عبارة أبي السعود، وسنورد نصّ عبارته كاملة، ومستقلة عن كلام المؤلف الذي مزجه به، ليُعلم النص الأصلي من جهة، ومن جهة أخرى لعل القارئ يعرف مراد أبي السعود دون الحاجة إلى غيره. انظر نصّ عبارته ملحقاً بعد الرسالة.

(٥) الزيادة من أبي السعود.

(٦) الزيادة من أبي السعود.

(٧) نهاية الورقة الثالثة من (ب).

الحجر وصّ فإنه طلب إبليس الإنظار ورّبه على الحرمان والرجم، ورتب تعالى الإخبار لنا بالإنظار^(١) له بقوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾.

قال أبو السعود: وقد طبّق الكلام عليه فيهما^(٢)، أي في سورتي الحجر وصّ: ووفى^(٣) كلّ واحد من مقامي^(٤) الحكاية والمحكي جميعاً حظّه.

قال: وأمّا ههنا (يريد في سورة الأعراف) فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الإخبار بالاستنظار والإنظار، سيقّت الحكاية على نهج الإيجاز والاختصار من غير^(٥) تعرّض لبيان كيفية كل واحد منهما عند المخاطبة والحوار.

قلتُ [والقائل المؤلف] كلام أبي السعود يدلّ^(٦) على أن ذكر الإنظار^(٧) منه تعالى لإبليس بعد طلبه، إنما هو التمثيل لما في الحوار^(٨)، من طيّ بعض ما في المحكي، والاتيان بها غير مستوفية لما فيه، وإلاً فإنه طوى في كل موضع فيها منه مواضع كما تفيد العبارات القرآنية. ولَمَّا قَسَمَ اللَّهُ إيراد الحكاية منه تعالى إلى اختصارها تارة، واستيفائها أخرى وأنّ ذلك مما يُخلُّ بالبلاغة، إذ لا مطابقة لمقتضى الحال أشار إليه^(٩) بقوله:

(١) في (ب) «بالأنصار».

(٢) تكرار لما سبق، ولعله قصد به ربطه بما بعده.

(٣) كذا في أبي السعود، وفي (أ، ب) «وأعطى».

(٤) كذا في أبي السعود، وفي (أ، ب) «مقام».

(٥) في (أ) «تغير».

(٦) في (ب) «يول».

(٧) في (ب) «الأنصار».

(٨) نهاية الورقة الثالثة من (أ).

(٩) في (ب) «الله».

ما يجب مراعاته في نقل الكلام:

إن^(١) قلت: فأذن لا يكون [ذلك]^(٢) نقلاً للكلام على ما هو عليه، ولا مطابقاً لمقتضى المقام.

قلنا: الذي يجب علينا اعتباره في نقل الكلام، إنما هو أصل معناه، ونفس مدلوله الذي يفيد.

(إن قلت: فأين دليل إنه لا يجب إلا ذلك في الحكاية؟.

قلت: من صنيع القرآن، فإنه لو لم يَجُزْ لما ورد به القرآن، وقد ثبت وروده به كما عرفته مما سقناه.

حكم الرواية بالمعنى:

فإن قلت: فهذه الحكايات في القرآن دالّة دلالةً قطعيةً على جواز الرواية بالمعنى، فما بالهم اختلفوا في جوازه في رواية الأحاديث؟.

قلت: لأن الراوي هنا هو كلام علام الغيوب^(٣) الذي لا يخفى عليه من معاني المحكي، ولا يجوز عليه النسيان، ولا الذهول، فما رواه بالمعنى فهو حق، لا يتطرق إليه شيء، بخلاف ما رواه الإنسان المُعرَّض للنسيان، ففيه وقع الخلاف).

ثم قال أبو السعود: وأما كيفية إفادته له، فليس مما يجب مراعاته عند النقل^(٤) البتة، بل قد تُراعى وقد^(٥) لا تُراعى حسب اقتضاء^(٦) المقام، ولا

(١) في (أ، ب) «قال: فإن قلت» وما أثبتناه هو نص عبارة أبي السعود.

(٢) الزيادة من أبي السعود.

(٣) في (أ) «كلام العمور».

(٤) في (أ، ب) «الحكاية» وما أثبتناه هو نص عبارة أبي السعود.

(٥) في (ب) «ولا يراعى».

(٦) كذا في أبي السعود، وفي (أ، ب) «حسبما اقتضى».

يقدم في نقل الكلام تجريدُه عنها، بل قد يراعى عند نقله كيفيات^(١) وخصوصيات لم^(٢) يُراعها المتكلم [أصلاً]^(٣)، ولا يُخلّ ذلك بكون^(٤) المنقول أصل المعنى، ألا ترى أن جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم إنما تُحكى^(٥) بكيفيات واعتبارات، لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتماً^(٦)، وإلاّ لأمكن صدور الكلام المعجز عن البشر، فيما إذا كان المحكي كلاماً. وأمّا عدم المطابقة لمقتضى الحال فمنشؤه الغفلة عمّا يجب توفير^(٧) مقتضاه من الأحوال، فإنّ ملاك الأمر: هو مقام الحكاية؛ وأمّا مقام وقوع المحكي، فإن كان^(٨) مقتضاه موافقاً^(٩) لمقتضى مقام الحكاية، يُوفى كل واحدٍ من المقامين حقه، كما في سورة الحجر، وسورة ص^(١٠) [كما قرناه]^(١١) فإنّ مقام الحكاية فيهما لهما كان مقتضياً لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها، روعي حق المقامين معاً.

وأما في هذه السورة الكريمة (يريد الأعراف) فحيث اقتضى مقام الحكاية الإيجاز^(١٢)، روعي جانبه. انتهى كلام أبي السعود رحمه الله، ممزوجاً بما يحلُّ بعض عباراته.

(١) في (ب) «لمعاب» ولا معنى لها.

(٢) في (ب) «سم».

(٣) الزيادة من أبي السعود.

(٤) كذا في أبي السعود، وفي (أ، ب) «بذلك كون».

(٥) كذا في أبي السعود، وفي (أ، ب) «تنقل».

(٦) كذا في أبي السعود، وفي (أ، ب) «لا يكاد يقدر من تكلم بها على مراعاتها».

(٧) في (ب) «توفية».

(٨) في (أ) «فإنّ مقتضاه».

(٩) في (ب) «موافياً».

(١٠) كذا في أبي السعود، وفي (أ، ب) «كما وقع ذلك في سورتي الحجر وص» إلاّ أنه في

(ب) «في سورة».

(١١) الزيادة من أبي السعود.

(١٢) كذا في أبي السعود، وفي (أ، ب) «المقام الإيجاز».

هل البلاغة منحصرة في المعنى:

فإن قلت: فقد^(١) تحصّل من هذا كله وتقرّر، أنّ معاني أقاصيص القرآن كلها هي معاني من قصّ الله تعالى أخبارهم، وإنما القرآن كساها حللّ عباراته، وزفّها إلى الأسماع رافلةً من عبقرى كلماته، فاللفظ لله تعالى، والمعنى لمن حكاه الله عنهم، ولكنه^(٢) قد تقرر أنّ الألفاظ قوالب المعاني، وأنّ المعاني أرواح أجسام الألفاظ، كما أن المنازل أجسام أرواحها السكّان، كما قال:

كانوا معاني المغاني والمنازل أموات إذا لم يكن فيهن سكّان
والأرواح هي المراد والمقصود من الأشباح، فيلزم أن تكون ألفاظ كلام الله أجساماً، وأرواحها لغيره، فيخل ببلاغته، لأن البلاغة للمعاني، ولذا يُقال: معنىً بديع، ومعانٍ بديعة.

البلاغة في اللفظ والمعنى معاً:

قلت: هذا جهل بحقيقة البلاغة، فإنّ حقيقتها عند علماء البيان، وأئمة تفسير القرآن: هي مطابقة الكلام لمقتضى^(٣) الحال مع فصاحة كلماته، كما قدّمناه. فالكلام^(٤) البليغ: ما طابق مقتضى الحال. وهذا مشترك بين لفظه ومعناه، فإنه لا بُدّ أن يطابق بمعناه ولفظه. وتقدّم أنّ فصاحة كلماته: خلوصها عمّا ذكرناه من الغرابة^(٥) والتعقيد وضعف التأليف.

وكلام الله الذي عبّر به عن غيره أبلغ الكلام قطعاً لكونه علّام الغيوب قد علم مطابقة كل عبارة اقتضاها كما فرغنا الآن من تقريره في كلام أبي

(١) في (أ) «منه».

(٢) في (ب) «وقد تقرر».

(٣) في (أ) «بمقتضى».

(٤) في (أ) «والكلام».

(٥) نهاية الورقة الرابعة من (ب).

السعود، وهو في ألفاظه أفصح كلام كما عرّفناك، من خلوصه عن الثلاثة العيوب.

وعلى هذين الأمرين - أي مطابقة مقتضى الحال، والخلوص عمّا ذكر - يدور قطب رحا البلاغة. ولا نسلم أن العبرة في الكلام بمعانيه، بل بلفظه ومعناه، بل قد يأتي المعنى بعبارة جافية، وألفاظٍ عن الأكدار غير صافية، ولذا يقال: رُبَّ معنى سار بعبارة تنفر^(١) عنها الأسماع، وسار ذلك المعنى بعينه، في عبارة أخرى تعشقها وتهتز^(٢) لها الطباع والمعنى واحد، كما حكى الخفاجي^(٣): أن بعض الملوك رأى في منامه أنها ذهبت أسنانه، فطلب عابراً، فقصّ عليه رؤياه، فقال: تهلك قرابة الملك جميعاً. فأمر بقلع أسنان العابر. ثم طلب عابراً آخر، فقصّها عليه، فقال: يطول عمر الملك، ويذهب أقرباؤه^(٤) وعداؤه^(٥) فأجازه وأحسن صلته. ولا يخفى أن المعنى واحد في عبارة العابرين، فإن من طال عمره وذهب قرناؤه فقد مات أهله قبله. ولكن العابر الأول أساء التعبير، وأحسن الثاني في العبارة من غير تنفير.

ونحو هذا شيء كثير في محاورات الناس، وإذا عرفت هذا علمت أن عبارة القرآن أبلغ العبارة، فإنها التي كست معاني تلك الأقاصيص حُلّة الإعجاز، وصيرتها معجزة، وأوردتها إلى الأسماع في تلك الحلاوة، وأنزلتها في القلوب أشرف منزلة عند التلاوة، وكانت قبل حكاية الله لها مثل كلام

(١) في (أ) «سهر».

(٢) في (أ) «وتهز».

(٣) في (أ) «الحاسي». والخفاجي: هو أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري، له مؤلفات كثيرة في اللغة والأدب ولد بمصر عام ٩٧٧ هـ وتوفي بها عام ١٠٦٩ هـ. انظر: خلاصة الأثر (٣٣١/١) والأعلام (١/٢٢٧ - ٢٢٨).

(٤) في (أ، ب) «أقرباء».

(٥) في (ب) «واعداه».

الناس: أي ناس عصرها: من عبرانية، أو سريانية، أو غيرها ليست بمعجزة، كما قرناه وحررناه، في «ذيل الأبحاث المسددة»^(١) في تفسير سورة طه في كلام صاحب الأبحاث، على قوله تعالى: ﴿أَوْ^(٢) لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾^(٣).

بل ربّما نفرت عنها الطباع، وبذلتها الأسماع، فعلمت^(٤) يقيناً أنّ حكاية القرآن لمعاني^(٥) كلام الأولين، وقصص الماضين ألّبستها حلاوة وطراوة، وأنزلتها في القلوب محلاً عالياً [تكسبه]^(٦) تارة الخشية فترى طرفه باكياً، وتارة يجلب له أسباب الرجاء في رحمة الله، فتراه مستبشراً سالياً^(٧)، فهو قرة عين التالي والسماع، وروح^(٨) رُوح الراكع والخاشع؛ فتحت كل لفظه من ألفاظه رياض، وكل جملة منه فنحراها بجواهر معانيها فياض، تاهت عند بلاغته العقول، وأقرت بأنه في غاية لا ينال^(٩) الأئمة الفحول.

(١) في (أ) «في دليل الأبحاث المفسدة».

والأبحاث المسددة، هو كتاب ألفه العلامة القاضي صالح بن مهدي المقبلي اليماني، وللمؤلف «ذيل»، عليه، وكلاهما مطبوع.

(٢) في (ب): «إذا لم».

(٣) آية ١٣٣. وانظر كلام المؤلف المشار إليه، في الأبحاث المسددة. صفحة (١٨٦) - (١٨٧).

(٤) في (أ) «فعملت».

(٥) في (أ) «بمعاني».

(٦) الزيادة من (ب).

(٧) في اللسان: قال الجوهري: «وسلّاني من همّي تسلية، وأسلاني: أي كشفه عني». انتهى.

(٨) في القاموس: الروح بالفتح: الراحة انتهى. ومراد المؤلف: أن القرآن الكريم راحة رُوح الإنسان.

(٩) هكذا في (أ، ب) ولعل الصواب: «لا ينالها».

اللهم وفقنا لمعرفة معانيه يا خيرَ مسئول، وارزقنا بركة تلاوته يا خيرَ مأمول، وصلِّ على مَنْ أنزلته إليه وعلى آله ما هبَّ شمال^(١) وقَبول^(٢).

-
- (١) قال في القاموس: والشِّمال... بالفتح، ويُكسر: الريح التي تهبُّ من قِبَل الحجر، أو ما استقبلك عن يمينك وأنت مستقبل.
- والصحيح: أنه ما مهبُّه بين مطلع الشمس ونبات نعش... إلخ انتهى.
- (٢) قال في القاموس: والقَبول كصَبور: الصَّبَا، لأنها تقابل الدُّبور، أو لأنها تقابل باب الكعبة، أو لأنَّ النفس تَقبلها. انتهى.

تنبيه:

نقل المؤلف كلام العلامة المفسر أبي السعود، فيما يتعلق بقصة آدم وإبليس التي تكررت في مواضع متعددة من الكتاب العزيز، بألفاظ مختلفة، للاستدلال بذلك على أن الكلام كلام الله عزوجل، حكى به المولى عزوجل كلام مَنْ قَصَّ اللهُ عزوجل قِصَّتَهُمْ من: آدم، والملائكة، وإبليس وأنه لا يوجد في القرآن من كلامهم سوى المعنى الذي عبّر الله عزوجل عنه باللسان العربي الفصيح، بل المعجز.

ولمّا كان المؤلف قد مزج كلام أبي السعود بعباراته المفسّرة لكلام أبي السعود، لِمَا رأى من غموض بعض عباراته. ولمّا كان كلام أبي السعود أيضاً قد ضاع في غمرة عبارات المؤلف، فقد رأيت - لتمام الفائدة - أن أفرد كلام أبي السعود كما جاء نصه في تفسيره، فلعلّ القارئ - إذا عاد إليه - يفهم منه مراد أبي السعود دون الحاجة إلى كلام غيره وبالله التوفيق.

نصّ عبارة أبي السعود في تفسيره^(١):

«فإن قلت: لا ريب في أن الكلام المحكي، له عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة، تقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم، بحيث لو أخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتّة.

فالكلام الواحد المحكي على وجه شتى، إن اقتضى الحال وروده على وجه معيّن، من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية، فذلك الوجه هو

(١) تفسير أبي السعود، من سورة الأعراف، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ آية: ١٥ (ج ٢/٣٣٠ - ٣٣١).

المطابق لمقتضى الحال، والبالغ إلى رتبة البلاغة. دون ما عداه من الوجوه.

إذا تمهّد هذا، فنقول: لا يخفى أنّ استنظار اللعين إنما صدر عنه مرةً واحدة لا غير. فمقامه إن اقتضى إظهار الضراعة، وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرْد، على نهج استدعاء الجبر في مقابلة الكسر كما هو المتبادر من قوله: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ حسبما حكى عنه في السورتين^(١).

فما حكى هنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلاً عن العروج إلى معارج الإعجاز، قلنا مقام استنظاره مقتضى لما ذكر من إظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرْد والرجم، وكذا مقام الإنظار مقتضى لترتيب الإخبار بالإنظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه في تينك السورتين ووفّى كل واحد من مقامي الحكاية والمحكي جميعاً حظه، وأما هنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الإخبار بالاستنظار والإنظار سبقت الحكاية على نهج الإيجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل واحد منهما عند المخاطبة والحوار. إن قلت فإذن لا يكون ذلك نقلاً للكلام على ما هو عليه، ولا مطابقاً لمقتضى المقام، قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام إنما هو أصل معناه، ونفس مدلوله الذي يفيد، وأما كيفية إفادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة، بل قد تُراعى وقد لا تُراعى حسب اقتضاء المقام، ولا يقدر في أصل الكلام تجريده عنها بل قد يُراعى عند نقله كصفات وخصوصيات لم يراعها المتكلم أصلاً، ولا يخل ذلك بكون المنقول أصل المعنى، ألا ترى أن جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم إنما تُحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتماً، وإلا لأمكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما إذا كان المحكي كلاماً، وأما عدم مطابقته لمقتضى الحال فمنشؤه الغفلة عما

(١) يقصد بالسورتين: سورة الحجر، وسورة ص.

يجب توفير مقتضاه من الأحوال فإن مِلاك الأمر هو مقام الحكاية، وأما مقام وقوع المحكي فإن كان مقتضاه موافقاً لمقتضى مقام الحكاية يُوفى كل واحد من المقامين حقه، كما في سورة الحجر وسورة ص، فإن مقام الحكاية فيهما لَمَّا كان مقتضياً لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها رُوعي حق المقامين معاً، وأما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الإيجاز روعي جانبه، ألا ترى أن المخاطب المنكر إذا كان ممن لا يفهم إلا أصل المعنى وجب على المتكلم أن يجرد كلامه عن التأكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام، ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه، لكنه مع ذلك يجب أن يقصد معنى زائداً يفهمه سامع آخر بليغ، هو تجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب في الفهم، وبذلك يرتقي كلامه عن رتبة أصوات الحيوانات، كما حقق في مقامه، فإذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع إفضائها إلى تجريد الكلام على الخواص والمزايا بالمرّة فما ظنك بوجوب مراعاته مع تحلية الكلام بمزايا آخر يرتقي بها إلى رتبة الإعجاز لا سيما إذا وفي حق مقام وقوع المحكي في السورتين الكريمتين وكان هذا الإيجاز مبنياً عليه وثقة به.

انتهى كلام العلامة أبي السعود

الفهارس

– الآيات القرآنية.

– الأعلام.

– الأماكن.

– المراجع.

– الموضوعات.

فهارس الآيات القرآنية الواردة في الرسالة

الآية	السورة	الصفحة
﴿إلا إبليس أبى...﴾	(البقرة: ٣٤)	٣٨
﴿ما منعك ألا تسجد...﴾	(الأعراف: ١٢)	٣٨
﴿فأهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها...﴾	(الأعراف: ١٣)	٤٢
﴿أنظرنى إلى يوم يبعثون...﴾	(الأعراف: ١٤)	٤١ - ٤٢
﴿إنك من المنظرين...﴾	(الأعراف: ١٥)	٤٣ - ٤٤
﴿وقال موسى يا فرعون...﴾	(الأعراف: ١٠٤)	٣٢
﴿حتى يسمع كلام الله...﴾	(التوبة: ٦)	٢٩
﴿قرآناً عربياً...﴾	(يوسف: ٢)	٣١
﴿لم أكن لأسجد لبشر...﴾	(الحجر: ٣٣)	٣٨
﴿رب فانظرنى...﴾	(الحجر: ٣٦ وص: ٧٩)	٤٢
﴿قال أسجد...﴾	(الاسراء: ٦١)	٣٨
﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن...﴾	(الاسراء: ٨٨)	٤٠
﴿إلا إبليس كان من الجن...﴾	(الكهف: ٥٠)	٣٨
﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا...﴾	(طه: ١١٦)	٣٩
﴿أو لم تأتهم بيّنة ما فى الصحف الأولى...﴾	(طه: ١٣٣)	٤٩
﴿ولقد آتينا موسى الكتاب...﴾	(الفرقان: ٣٥ - ٣٦)	٣٨
﴿نزل به الروح الأمين...﴾	(الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥)	٣١
﴿وإنه لفي زبر الأولين...﴾	(الشعراء: ١٩٦)	٣٦
﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت...﴾	(ص: ٧٥ - ٧٦)	٣٩
﴿فلا أقسم بما تبصرون...﴾	(الحاقة: ٣٨ - ٤٢)	٣٣
﴿إنه لقول رسول كريم...﴾	(التكوير: ١٩ - ٢٠)	٣٢
﴿إن هذا لفي الصحف الأولى...﴾	(الأعلى: ١٨ - ١٩)	٣٦

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
آدام	٥١ - ٣٩ - ٣١
إبراهيم	٣٦
إبليس	٥١ - ٤٤ - ٤٢ - ٣٩ - ٣٨ - ٢٩
ابن الأثير	٣٤ هـ
أبو بكر (الصديق)	٣٤ هـ
ابن تيمية	٣٤ هـ
ثمود	٣٨
جبريل	٣٣ - ٣٢
الجوهري	٣٩ هـ
الحجاج بن يوسف الثقفي	٣٤ هـ
ابن حجر	٣٤ هـ
ابن حزم (أحمد بن سعيد)	٣٧
حسين بن القاسم بن محمد الحسيني	٣٠
الخفاجي (أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين)	٤٨ هـ
الذهبي	٣٧ هـ
ابن الزبير (عبدالله)	٣٧ - ٣٦ - ٣٥ - ٣٤ هـ
الزمخشري	٣٥ هـ
ابن السبكي (عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي)	٣٠
سعد الدين التفتازاني	٣٤
أبو السعود (محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي)	٤١ - ٤٠ - ٣٩ هـ
٤٢ هـ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٨ - ٥١ - ٥٣	

الاسم	الصفحة
السيوطي	٣٧ هـ
الشوكاني	٣٠ هـ
صالح بن مهدي المقبلي اليماني	٤٩ هـ
الطبري	٣٤ هـ
عاد	٣٨
عبدالله بن عباس	٣٥ هـ
عبدالمملك بن مروان	٣٤ هـ
عثمان (بن عفان)	٣٤ هـ
علي بن أبي طالب	٣٤ هـ
ابن العماد	٣٩ هـ
عمر (بن الخطاب)	٣٩ هـ
أبو الفضل إبراهيم	٣٧ هـ
فرعون	٣١
القزويني	٣٧ - ٣٦ - ٣٥ هـ
محمد ﷺ	٣٣ - ٣٠
معاوية بن أبي سفيان	٣٧ - ٣٦ - ٣٥ - ٣٤ هـ
معن بن أوس	٣٧ - ٣٦ - ٣٥ هـ
موسى	٣٨ - ٣٧ - ٣٦ - ٣٣ - ٣٢ - ٣١
نوح	٣٨
يزيد بن معاوية	٣٤ هـ

فهارس الأماكن

- ١ - الأندلس هـ ٣٧
- ٢ - تفتازان هـ ٣٤
- ٣ - خراسان هـ ٣٤
- ٤ - دمشق هـ ٣٠، هـ ٣٤، هـ ٣٦
- ٥ - زمار هـ ٣٠
- ٦ - سمرقند هـ ٣٤
- ٧ - الشام هـ ٣٤
- ٨ - العراق هـ ٣٤
- ٩ - القاهرة هـ ٣٠
- ١٠ - قرطبة هـ ٣٧
- ١١ - قزوين هـ ٣٥
- ١٢ - القسطنطينية هـ ٣٩
- ١٣ - لبله هـ ٣٧
- ١٤ - المدينة هـ ٣٤ - هـ ٣٥
- ١٥ - مصر هـ ٤٨
- ١٦ - مكة هـ ٣٤
- ١٧ - الموصل هـ ٣٥
- ١٨ - اليمن هـ ٣٠

فهارس المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي: جلال الدين عبدالرحمن .
- ٣ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: محمد العمادي .
- ٤ - أساس البلاغة، للزمخشري: محمود بن عمر .
- ٥ - البداية والنهاية، لابن كثير: أبو الفداء إسماعيل .
- ٦ - البدر الطالع، للشوكاني: محمد بن علي .
- ٧ - حلية الأولياء، لأبي نعيم: أحمد بن عبدالله الأصبهاني .
- ٨ - خزنة الأدب، للبغدادي: عبدالقادر بن عمر .
- ٩ - خلاصة الأثر، للمحبي: محمد أمين بن فضل الله .
- ١٠ - الدرر الكامنة، لابن حجر: أحمد بن علي .
- ١١ - سير أعلام النبلاء، للذهبي: محمد بن أحمد .
- ١٢ - شذرات الذهب، لابن العماد: عبدالحق بن العماد الحنبلي .
- ١٣ - فوات الوفيات، للكتبي: محمد شاکر .
- ١٤ - القاموس المحيط، للفيروزآبادي: محمد بن يعقوب .
- ١٥ - الكامل، لابن الأثير: علي بن محمد .
- ١٦ - كشف الظنون، لحاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله .
- ١٧ - لسان العرب، لابن منظور: محمد بن مكرم .
- ١٨ - لسان الميزان، لابن حجر: أحمد بن علي .
- ١٩ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (وضع) عبدالباقي: محمد فؤاد .
- ٢٠ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية .
- ٢١ - منهاج السنة، ابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم .
- ٢٢ - وفيات الأعيان، ابن خلكان: أحمد بن محمد .

فهارس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
ترجمة المؤلف	٧
تمهيد	١١
أهمية الرسالة	١١
خلاصة الرسالة	١٢
وصف المخطوطة	١٧
صور المخطوطات	١٩
عملي في الرسالة	٢٥
إيضاح البيان في عبارات قصص القرآن	
١ - المحكي في القرآن كلام من هو؟	٢٩
٢ - القرآن كله كلام الله حقيقة	٢٩
٣ - الحكاية في القرآن الكريم هي من كلام الله تعالى	٣٠
٤ - اللفظ كلام الله، والمحكي كلام العباد	٣١
٥ - نسبة الكلام إلى الله تعالى وإلى غيره	٣١
٦ - نسبة الكلام إلى مُبلِّغه	٣٢
٧ - الاعتبارات المتفاوتة في نسبة الكلام	٣٣
٨ - دليل صحة نسبة الكلام إلى مَنْ قال معناه	٣٤
٩ - تعدد عبارات القرآن الكريم عن الموقف الواحد	٣٧
١٠ - مثال على تعدد العبارات	٣٨
١١ - إشكال ودفع للإشكال	٣٩

الموضوع	الصفحة
١٢ - منشأ الإشكال	٤١
١٣ - دفع الإشكال	٤١
١٤ - ما يجب مراعاته في نقل الكلام	٤٥
١٥ - حكم الرواية بالمعنى	٤٥
١٦ - هل البلاغة منحصرة في المعنى؟	٤٧
١٧ - البلاغة في اللفظ والمعنى معاً	٤٧
١٨ - تنبيه	٥١

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية	٥٧
فهرس الأعلام	٥٨
فهرس الأماكن	٦٠
فهرس المراجع	٦١
فهرس الموضوعات	٦٢

